الحجاج بأسلوب التوكيد وأثره في تنمية الخطاب التربوي – نهج البلاغة أنموذجًا

م. د عمَّار حسن عبد الزهرة

وزارة التربية/ مديريَّة التربية في كربلاء المقدَّسة

الملخَّص:

أخذت هذه الدِّراسة على عاتقها متابعة آلية من آليات الحجاج في الخطاب التربوي لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وهي التوكيد بما يفيده من حجاجيَّةٍ إقناعيَّة تسعى إلى رفع الشكِّ واللبس بمحتوى الخطاب، ونقله إلى مستوى اليقين والإقناع، وقد تابعنا ذلك في خطاب نهج البلاغة بفئته التربوية عبر مراقبة أثر التوكيد في تنميته قدراته الإيحائيَّة والتأثيريَّة، وأوَّل ما لاحظناه الحضور الوافر للتوكيد في نهج البلاغة؛ لما له من أهميَّةٍ عاليةٍ في إحكام محتوى الخطاب في ذهن المتلقي؛ وهذا يرجع إلى أنَّ وظيفة أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت الإصلاح عبر العمل على تغيير سلوك الأمَّة نحو المنهج الإلهي وإعادتها إلى الجادَّة الصواب التي كانت عليها في عهد رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) ممَّا استدعى منه رفع القيمة الحجاجيَّة لخطابه؛ ليكون مؤثِّرًا في جمهوره وفاعلًا في تغيير سلوكهم باتِّجاه ما يصبو إليه محتوى الخطاب وغرضه، وذلك لحدوث فتنٍ في عصره أثَّرت على بعضٍ من فئات دولته، ونتيجةً لذلك فقد أخذ التوكيد مساحةً واسعةً في مجمل خطاب نهج البلاغة؛ لما يمنح الخطاب من طاقةٍ فاعلةٍ في التأثير وتغيير القناعات نحو ما يريده المتكلِّم أو يسهم في رفع التأثير نحوها، ومن هنا عوَّلنا في هذه الدِّراسة عليه فتتبَّعنا أهمَّ تراكيبه وما تفرز من آثارٍ على مستوى الحجاج والإقناع.

الكلمات المفتاحيَّة: نهج البلاغة، الحجاج، أسلوب التوكيد، الخطاب التربوي

المقدّمة:

الحَمْدُ للهِ الَّذَي لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ، وَلاِ يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ، ولاَ يُؤَدّي حَقَّهُ الُمجْتَهِدُونَ.. وصلَّى الله على خير خلقه أجمعين محمَّدٍ وآله الطاهرين..

لقد أخذت الدِّراسات الحجاجيَّة في الآونة الأخيرة تتنامى في الحقل اللساني؛ لما حقَّقته من نتائج فاعلةٍ على خطِّ الدِّراسات التي تراقب المستوى الاستعمالي للغة، ولذلك أخذ مساحةً واسعة من اهتمام الباحثين؛ ولا سيَّما بعد ترصين مقولاته وتنظيمها ، وتحديد أهدافه في متابعته الآليات التي تؤدِّي بالأذهان إلى الاقتناع بما يعرض عليها من أفكار ومساراتٍ هادفةٍ إلى تغيير السلوك والأنماط، ومن هنا وجدت هذا الحقل مناسبًا في دراسة خطاب نهج البلاغة بفئته التربويَّة والأخلاقيَّة، عبر مراقبتي لإحدى أهمِّ آليةٍ من آليات الحجاج اللغوي؛ ألا وهي التوكيد، الذي يتناسق بمفهومه العامِّ مع معطيات الحجاج؛ وذلك أنَّه يهدف إلى رفع القيمة الإيحائيَّة لمحتوى الخطاب إلى مرتبةٍ ترفع الشَّكَّ واللبس عند المخاطب، ممَّا يعني العمل على إقناع المخاطب بمحتوى الخطاب وقبوله لأحكامه وأفكاره، وهذا عينه ما يبتغيه الحجاج، فهو يعمل على متابعة الآليات التي من شأنها أن تؤدِّي إلى التسليم بقضايا الخطاب ومدَّعياته.

وأوَّل ما لفت انتباهنا عند تجوال النظر بمضامين نهج البلاغة خصوبة أسلوب التوكيد فيه فلا يكاد يخلو نصٌّ من إحدى تقنياته، وذلك يمكن أن نرجعه إلى وظيفة أمير المؤمنين (عليه السلام) الإصلاحيَّة والإرشاديَّة التي تطلَّبت منه بذل الجهود في سبيل إصلاح الأمَّة وإرجاعها إلى الجادَّة السليمة، وذلك يحتاجُ إلى وسائل عدَّة، وكان منها الخطاب التربوي، وفيه سطَّر أمير المؤمنين (عليه السلام) أرقى الأنماط اللغويَّة وأعلى المضامين الخطابيَّة وأسمى التعابير الإرشاديَّة، التي ضلَّت حافلةً بجذوتها الحيويَّة إلى يومنا هذا، وستظلُّ فاعلةً إلى ما شاء الله تعالى لهذه الدُّنيا، ولعلَّ من أهمِّ الأسباب التي أدَّت إلى ذلك هو أنَّ أمير المؤمنين (عليه السَّلام) غادر بخطابه حيثيات الزَّمان والمكان، ولم يتكلَّم بحدود عصره فقط وإنَّما راقب القضايا الكبرى للإنسان التي ترافقه مع حياته فأسَّس لبناء الإنسان الكامل؛ عبر صياغة نظامٍ للحياة على وفق المعايير الإلهيَّة من دون أن يجعل

مجمل خطابه يدور في إطار حيّزٍ معيَّن؛ ولذلك نرى أنَّ خطابه صار شعارًا لكلِّ ثائرٍ أو منادٍ للإصلاح مهما كانت وجهة تفكيره وانتمائه، وأصبح خطابه عالميًّا تتلقَّفه الأسماع على اختلاف مشاربها. وهذا الأمر استدعى منه (عليه السلام) تضمين خطابه بكلِّ ما من شأنه أن يفعل تأثيرًا في المتلقي، سواء على مستوى الصياغة أو الأسلوب أو الفصاحة أو التركيب أو غير ذلك، ومن تلك الأدوات الفاعلة كان التوكيد؛ لما يفعله هذا الإجراء في الخطاب من رفعٍ لقيمة الخطاب الدَّلاليَّة والتوثيقيَّة، فيرفع الشكَّ واللبس عن المخاطب بمحتوى الخطاب وأفكاره، وبما يفعله من توثيقٍ للخطاب في ذهن المتلقي.

ومن هنا حاولنا تسليط الضوء على هذه الآليَّة الفاعلة في الخطاب ومقاربتها على وفق مقولات الحجاج اللغوي، ثمَّ مراقبة ما يمكن انتاجه من تأثيرٍ في محتوى الخطاب التربوي والإرشادي، وعند النظر في الأساليب التي وردت فيها هذه الآليَّة وجدناها كثيرةً جدًّا لا يمكن أن يحتويها المقام الذي نحن بصدده، ولذلك عوَّلنا على اختيار أهمِّها فنتج لدينا ثلاثة مسارات شكَّلت ثلاثة مباحث سبقها تمهيد في بيان مفهوم الحجاج ومديات اشتغاله، ثمَّ المبحث الأوَّل الذي درس التوكيد بصنف التكرار، وبعده المبحث الثَّاني فدرس التوكيد بفئة القسم، وأمَّا المبحث الثَّالث فدرس التوكيد بالقصر، وأخيرًا جاءت الخاتمة التي ضمَّت أهمَّ النتائج التي توصَّلت إليها الدَّراسة.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على خير المرسلين محمَّدٍ وآله الطاهرين..

التمهيد: مفهوم الحجاج ومديات اشتغاله

الحجاج لغةً:

ينبثق مصطلح الحجاج من الجذر (حَجَّ) وهو له ((أُصُولٌ أَرْبَعَةٌ: فَالْأَوَّلُ الْقَصْدُ، وَكُلُّ قَصْدٍ حَجٌّ... وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: الْحِجَّةُ وَهِيَ السَّنَةُ. وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يُجْمَعَ هَذَا إِلَى الْأَصْلِ الْأَوَّلِ ; لِأَنَّ الْحَجَّ فِي السَّنَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَكَأَنَّ الْعَامَ سُمِّيَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْحَجِّ حِجَّةً... وَالْأَصْلُ الثَّالِثُ: الْحِجَاجُ، وَهُوَ

الْعَظْمُ الْمُسْتَدِيرُ حَوْلَ الْعَيْنِ. يُقَالُ لِلْعَظِيمِ الْحِجَاجِ أَحَجُّ، جَمْعُ الْحِجَاجِ أَحِجَّةٌ، وَزَعَمَ أَبُو عَمْرٍو أَنَّهُ يُقَالُ لِلْمَكَانِ الْمُتَكَاهِفِ وَمِنَ الصَّخْرَةِ حَجَّاجٌ. وَالْأَصْلُ الرَّابِعُ: الْحَجْحَجَةُ النُّكُوصُ. يُقَالُ: حَمَلُوا عَلَيْنَا ثُمَّ حَجْحَجُوا. وَالْمُحَجْحِجُ: الْعَاجِزُ))(1). وقي في الحجّاج أيضًا: ((حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجًا ومُحاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بها... والحُجَّة: البُرْهان؛ وَقِيلَ: الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ؛ وَقَالَ الأَزهري: الحُجَّة الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ، والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ، وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نَازَعَهُ الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِه... واحْتَجَّ بالشيءِ: اتَّخَذَهُ حُجَّة؛ قَالَ الأَزهري: إِنما سُمِّيَتْ حُجَّة لأَنها تُحَجُّ أَي تقتصد لأَن الْقَصْدَ لَهَا وإِليها... والحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ))(2). وعلى ذلك يكون الظاهر من الحجاج بمستواه المقارب لما نريده هو المخاصمة والمناظرة في تقديم الحجج والبراهين على صدق دعوى ما.

الحجاج (Argumentation) اصطلاحًا:

أمَّا على مستوى الاصطلاح فقد عُرِّف الحجاج بجملةٍ من التعريفات منها ما عرَّفته بوصفه: ((فعلاً لغوياً، أو عملية لسانية اتصالية الغاية منها الإقناع، الذي يعتمد على رسائل منطقية ولغوية خاصة في غاية الوضوح))(3)، وعرِّف أيضًا: بأنَّه ((جملة من الحجج التي يُؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها))(4). والتعريف الأخير يفتقر إلى أهمّ عنصر في الحجاج، وهو قصد التأثير، وعليه فإنَّنا نميل مع من عرَّفه بأنَّه ((خطاب اقناعي؛ أي أنَّ هدفه التأثير في المتلقي، إمَّا لتدعيم موقفه وإمَّا لتغير رأيه فتبني موقف جديد))(5). والحجاج ظاهرة ملازمة لإنتاج الخطاب قلَّ ذلك الحجاج أو كَثُرَ(6)؛ لأنَّ الخطاب بحسب رؤية (بنفست): كل تلفظ يفترض متكلمًا ومستمعًا، وعند الأول هدف التأثير في الثاني بطريقةٍ ما(7)، والتأثير يستدعي رسم خطوات معينة وبناء مسارات من الحجج التي تعمل على إقناع المتلقي برسالة المتكلّم وهدفها، وهذا هو الحجاج، ولذلك قيل فيه: بأنَّه ((طريقة منظمة للإقناع))(8).

ولو نظرنا إلى كتاب نهج البلاغة فإنَّنا سنجده بالنحو الغالب خطبًا ورسائل وحكم هدفها بالمجمل إصلاح النَّفس وبناء الإنسان على وفق المنظومة الخلقية للإسلام، فكان نهج البلاغة برنامجًا تربويًّا يهدف إلى صناعة الإنسان الكامل؛ لأنَّ أمير المؤمنين عليًا (عليه السلام) قد عمل على رصد القضايا التربويَّة الكبرى التي تعمُّ حياة الإنسان على مرِّ العصور فأوردها في خطابه، داعيًا النَّاس إلى التمسُّك بها والعمل فيها، ثمَّ إنَّه (عليه السلام) منح خطابه خاصيَّة الديمومة؛ لأنَّه لم يُقيِّده بالحدود الخاصَّة ضمن البيئة المحدودة؛ بل جعله خطابًا عامًّا يعالج القضايا الكبرى التي تحكم القيم التربوية للإنسان على مدى العصور والأيَّام، وكان خبيرًا بتقلبات النَّفس الإنسانيَّة وحاجاتها وطرق هدايتها، والمنزلقات التي تقع فيها، فحذَّر وأنذر ودعا وهدى بأسلوبٍ بارعٍ ينساب إلى النَّفس انسيابًا من دون أن تتخلَّله الحواجز أو تعترضه النوازع.

ولذلك فالإقناع في الخطاب التربوي عملية واعية ومدروسة ومقننة؛ فالباث له أهداف واضحة يروم تحقيقها عبر وجهين: أحدهما لساني والثاني فكري، وهو يستهدف اعتقاد المخاطب قبل سلوكه، أي نقل المتلقي من حال إلى حال بتغيير اعتقاداته ومواقفه وسلوكه، وهذا لا يتحقق إلَّا بخطابٍ واعٍ من الباثِّ الذي يستهدف العقل أو العاطفة أو هما معًا، وأمَّا نجاحه فيظهر في الآثار التي تترتب على عمليته، أي في سلوك المتلقي ومواقفه بعدما يتلقَّى الخطاب الإقناعي(9) .

والخطاب التربوي بوصفه بديلا فعَّالًا عن العنف لابدَّ أن يعتمد على الحجاج والإقناع، وعلى مدى تنظيم الحجج وملاءمتها تتحقَّق أهداف التأثير بتغيير السلوك، ومن هنا فإنَّه لابدَّ أن يكون خطابًا مقنعًا ذا طابعٍ حواري يقوم في أساسه على منهج رصين محكم، ولأجل تحقيق ذلك لابدَّ من توفُّر سمات فيه منها: الاعتماد في صياغة المنهج الإقناعي على مبادئ منتظمة، تؤسس على معطيات ذات بعد إنساني لساني، واجتماعي، وأخلاقي، ومن تلك المبادئ وجود مقاصد وأهداف وتوجهات، يتم بلوغها انطلاقا من اللغة في أجلى تمظهراتها البيانية؛ لتحقيق كفايات (منهجية) و(تواصلية) و(ثقافية) و(استراتيجية). ولذلك فهي وسيلة الخطاب التربوي الإقناعي في تنفيذ المقاصد والتوجهات.

ومنها أيضًا (الملاءمة)، وهي من مبادئ الإقناع في هذا الخطاب، الذي من الممكن أن يتوجَّه لأصناف متعددة من المخاطبين، ولذلك يفترض في العدة الحجاجية أن تكون ملائمة لملكات الصنف المخاطب واستعداداته، على أن تكون طبيعة الخطاب التربوي الإقناعي خطابية جدلية حوارية، تبليغية، موضوعية، ممَّا يتوجَّب توخِّي الحذر في صياغة المفردات والتراكيب والصور والاستعارات والتشبيهات؛ لأنَّ هذه المعطيات ترفع من قيمته الحجاجيَّة، وهي ممَّا يقتضيها الخطاب التربوي؛ لأنَّه يُبنى أساسًا على التأثير والإقناع؛ فهو يعتمد بالدرجة الأولى على خصوبة المخاطبات(10).

ولو تأمَّلنا في التأثير الذي أحدثه خطاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على مدى العصور فإنَّنا سنجد عجبًا؛ وذلك لأنَّ خطابه قد تعدَّى الحدود في التأثير وصار موضع استشهادٍ للعلماء والأدباء والباحثين؛ فضلًا عن العامَّة على اختلاف مشاربهم الفكرية وأساليبهم الاعتقادية؛ لأنَّهم وجدوا فيه حاجتهم المعرفية والتربويَّة فتمسَّكوا به، ولا أغالي عندما أقول أنَّ تأثير خطاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وامتداده في الوعي بغير المسلم أكثر من المسلم، وكلُّ ذلك نتيجة الغطاء اللغوي والحجاج التربوي الذي صدَّر به معرفته وآليات الإقناع التي اعتمد عليها.

ومن هنا فإنَّنا سنراقب الحجاج الذي تضمَّنه خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) التربوي وآلياته وسماته الأسلوبية على وفق تصورين يشكلان مبحثين: حجاج من داخل اللغة وحجاج من خارج اللغة.

الحجاج اللغوي

يعتمد هذا النوع من الحجاج على المعطيات اللغوية بمقولاتها اللفظية وحججها الحوارية، وهو يبتعد عن المسارات المنطقية والاستدلال الصارم المعتمد على قواعد عقلية ذات نتائج بمحصلات ثابتة كما هو الحال في معطيات الحجاج الأرسطي، وقد تبنَّى هذا الاتجاه من الغربيين بيرلمان وتيتكاه، وأرادا من هذا الصنف من الحجاج أن يخلقا نوعًا من التناغم ومحاورة المشاعر والعواطف بين المتكلِّم وجمهوره، وعلى أساس ذلك كان العمل عندهما ينصبُّ على : ((إخراج الحجاج من دائرة

الخطابة والجدل))(11)، إلى دائرة الحوار والإقناع عبر الأدوات اللغوية ((التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة ذلك التسليم))(12)، ولا يكون ذلك إلَّا عبر حجاج يهدف إلى إقناع الجمهور على أساس الحوار ومناقشة الأفكار وإشراك العواطف وإعطاء مساحةٍ من حرية التفكير، وعدم الإلزام بالنتائج من دون قناعةٍ وإرادة؛ لأنَّ هذا المستوى من الحجاج ((يقوم على الحرية والعقلنة))(13)، ومن هنا كان الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه: ((حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيداً عن الاعتباطية واللامعقولية))(14)، وجعلا موضوع الحجاج هو دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من طروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، وأمَّا الغاية منه فجعل العقول تذعن بما يطرح عليها من آراء أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان، وكان عندهما أفضل الحجاج ما وُفِّق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يعينهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ماُ وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة(15).

وأمَّا أهمُّ النتائج التي توصَّلا إليها في دراستهما للحجاج فيمكن تلخيصها بالنحو الآتي(16):

1. تخليص الحجاج من دائرة الخطابة والجدل.
2. خليص الحجاج من بوتقة المنطق والأبنية الاستدلالية المجردة، وقرَّباه من مجالات استعمال اللغة.
3. انتهيا إلى أنَّ الحجاج حوارٌ بين الخطيب وجمهوره وغير مرتبط بالجدل، ولا يمكن النظر إليه على أنَّه مغالطة أو تلاعبًا بالمشاعر والعقول.
4. الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية.

ومن هنا فإنَّنا سندرس في هذا المبحث الروابط الحجاجية بوصفها حججًا لغويَّةً، وعناصر لسانية تقوم بتوجيه المنجز اللفظي نحو نتيجة معينة؛ لأن وظيفة الكلام الجوهرية هي أن يوجّه لا أن يدل(17)، والروابط تعدُّ من مرتكزات النظرية الحجاجية التي تسعى إلى تبيان أنّ الوظيفة الأساسية

للغة هي (الحجاج)(18)، وأمَّا الحكم على خطاب ما بأنه خطاب حجاجي فذلك يستدعي احتوائه على ملفوظين اثنين فأكثر، على أن يؤدِّي أحدهما إلى تعزيز الآخر، فيسمى الأوّل حجة والثانية نتيجة(19)، ومن هنا يأتي دور الرابط الحجاجي الذي: ((يربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة))(20)، والروابط متنوّعة المقاصد ولكلٍّ منها خصائص تؤدِّي إلى إيجاد علاقات حجاجية معينة تدفع نحو نتائج محددة(21)، والسياق هو من يرسم المعطيات الوظيفية للرابط الحجاجي، ولذلك تتجدَّد العلاقات الحجاجية للروابط بحسب الأدوار التي يمنحها السياق لها، ممَّا يعطيها مفهومًا عامًّا ومرنًا، إذ من الممكن أن تكون: ((على شكل علاقة شرطية أو سببية أو تفسيرية أو تبريرية أو استنتاجية))(22).

ولا ننسى أنَّ مفهم الخطابة بشكلها العام تعني بتعريف أفلاطون ((صناعة قيادة النفوس بالقول))[23]، وهي بذلك تحمل بعدًا حجاجيًّا في طبيعة تكوينها، وإذا ضممنا إليها قيمة المتكلِّم وما يحمل من أبعادٍ أخلاقيَّة وقيمةٍ قدسيَّة فإنَّ محتوى الحجاج سيرتفع بشكلٍ أكبر عبر ما سينتج من تأثيرٍ متنوِّع، ولهذا قيل: ((الخطيب يُقنع بالأخلاق))[24]؛ وأخلاقه تعدُّ من : ((أقوى عناصر الإقناع لديه))[25].

ومن هنا يأخذ خطاب أمير المؤمنين علي (عليه السَّلام) بعده الحجاجي الذي تتوفَّرُ فيه عدَّة نوافذ، ويمكننا أن تصوَّر بعضها:

1. قيمته بوصفه أمير المؤمنين وما يحمل هذا الوصف من بعدٍ قدسيٍّ عقيديٍّ ينسحب على كلِّ خطابه وكلامه.
2. أخلاق المتكلِّم ورفعته بوصفه الإنسان الكامل في عصره وما تلاه، وقد جعل من حياته ميدانًا لتطبيق الأخلاق الإلهيَّة السامية، وهذا يضفي على خطابه بعدًا تأثيريًّا وإقناعيًّا؛ لأنَّه يصدر عن متكلِّمٍ يفعل ثمَّ يقول، ويطبِّق الأخلاق قبل الدعوة إليها أو النصح فيها.

3. قيمة الخطاب البلاغيَّة، وعمق الصياغة اللغويَّة، ورصانة الأسلوب، ودقَّة التعبير، وجماليَّة العبارة، وأناقة الكلمة، ورشاقة الحرف، وفصاحة النظم، كلُّ ذلك توفَّر في خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) بأعلى المستويات.

وهذه الأمور منحت خطابه بعدًا حجاجيًّا مؤثِّرًا ليس على مستوى من يعتقد به؛ بل حتَّى من لا ينسجم مع فكره ومعتقده، ولذا صار خطابه التربوي حكم تسير على أفواه النَّاس على مرِّ العصور؛ لما ضمَّنها من روحه النقية وواقعه العملي وإخلاصه في التطبيق ونيته الصادقة، وهذا نراه ينسجم مع ما قرَّره أفلاطون بخصوص الخطابة الحجاجية في تقنينه لمفهومها ومساحة تأثيرها عندما عدَّه بأنَّه: ((ليس فضاء تفاعل بين الإنسان والإنسان بما في ذلك من علاقات معقدة ومقاصد مختلفة، وتنوع في الرؤى، وإنَّما هو فعل قول أخلاقي))[26]. ومن هنا برز عندنا الاهتمام بالخطاب التربوي لأمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة وعوَّلنا على أسلوب التوكيد في رصد ظاهرة الحجاج في ذلك الخطاب؛ لما للتوكيد من بعدٍ حجاجيٍّ يظهر في خاصيَّته اللغويَّة وغرضه الإبلاغي القاضي برفع المحتوى الدَّلالي للخطاب عبر إزالة الشك واللبس من المتلقي.

الحِجاج بالتوكيد

من الأساليب اللغويَّة التي تتضمَّن الحجاج أسلوب التوكيد؛ لما فيه من قصديَّة إرادة تمكين المعنى في نفس المتلقي، وإزالة الشكِّ عنه، ورفع طاقة التأثير لمادَّة اللغويَّة، وقد عرَّفه ابن جنِّي (ت: 180 هـ) بقوله: ((لفظ يتبع الاسم المؤكَّد في إعرابه؛ لرفع اللبس وإزالة الاتِّساع))[27]، وقال عنه أبو البقاء العكبري (ت: 616هـ): ((تمكينُ الْمَعْنى فِي النَّفس وَيُقَال توكيد وتأكيد ووكَّد وأكَّد))[28]، وذكره العلوي (ت: 749 هـ) بقوله: ((تمكين الشيء في النَّفس وتقوية أمره. وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عمَّا أنت بصدده))[29].

فالتوكيد يكون أحد أدوات الحجاج الفاعلة لإرادة التأثر المتلقي ومحاولة إقناعه بما تمَّ تأكيده، ورفع الشكِّ عنه وإماطة الشبهة لديه، وهذه الأمور بحدِّ ذاتها تشكِّل أبعادًا حجاجيَّة عالية المضامين، وكلَّما

كانت المؤكِّدات أكثر حمل الخطاب بعدًا حجاجيًّا أكبر. وقد جاء الخطاب التربوي في نهج البلاغة مليء بأساليب التوكيد المتنوِّعة، التي قد تكون من أهمِّ مقاصدها ابتغاء التأثير بالجمهور وإقناعهم بأفكار الخطاب ومعارفه وسلوكياته، ومن أهم صور التركيب في نهج البلاغة:

أولًا/ التوكيد بالتكرار:

التكرار: ((هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد))([30])، والقصد منه: ((تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل، أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض من الأغراض))([31]). وقد ورد هذا الأسلوب في نهج البلاغة بشكلٍ خصب. وممَّا ورد منه قوله (عليه السلام): ((يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا، إِلَيْكِ عَنِّي، أَبِي تَعَرَّضْتِ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ؟ لاَ حَانَ حِينُكِ! هيْهَات! غُرِّي غَيْرِي، لاَ حاجَةَ لِي فيكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلاَثاً لاَ رَجْعَةَ فِيهَا! فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ))([32]).

والغرض من التكرار واضح في هذا النَّص وهو التوبيخ، فهو يُكرِّر اللفظ توبيخًا للدُّنيا الفانية التي تأخذ بصاحبها إلى الدَّرك الأسفل، وقد شخَّص أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الدُّنيا فناداها مكرِّرًا النداء لها متحدِّيًا إيَّاها محاججًا لها بأنَّ ليس لها عليه سلطان، وقد طلَّقها بلا رجعةٍ، وهيهات أن تغريه بزبرجها الخدَّاع، فهو من جانب يحاجج الدُّنيا ويُبّخها، ومن جانبٍ آخر يحاجج واليه عثمان بن حنيف (رضوان الله عليه) الذي أرسل له هذا الكلام بأن لا تغترَّ بالدُّنيا فحالها إلى عدمٍ وخراب.

ومن أغراض التكرار الحجاجيَّة ما جاء بغرض الترغيب بالعمل وتحبيبه للمخاطب ومحاولة إقناعه بحسن عاقبته، وذلك بقوله (عليه السلام): ((فَاللهَ اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، فِيَما اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ))([33]). وهنا ترغيب النَّاس بالتَّمسُّك بالقرآن الكريم وحقوق ربِّ العالمين، وأوَّل ما يمكن ملاحظته هو أنَّ التكرار كان في لفظ الجلالة؛ لما لهذا اللفظ من هيمنة قدسيَّة في نفوس المتلقين من المسلمين، ممَّا يُعطي الخطاب التربوي طاقة تأثيريَّة عاليَّة وامتدادًا حجاجيًّا مقنعًا بما فيه من هدفٍ تربويٍّ أخلاقيّ. وتكرار لفظ الجلالة في نهج البلاغة قد أخذ مساحةً واسعةً جدًّا ممَّا

يُثبت تربويَّة خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومن تلك الموارد التي كرَّر أمير المؤمنين (عليه السلام) لفظ الجلالة بقصديَّة الترغيب قوله: ((عِبَادَ اللهِ، اللهَ اللهَ فِي أَعَزِّ الأَنْفُسِ عَلَيْكُم، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ، فَشِقْوَةٌ لاَزِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لأَيَّامِ الْبَقَاءِ))([34]).

وهنا يحاجج أمير المؤمنين (عليه السَّلام) مرغِّبًا محتوى خطابه ومحكمًا حمولاته المعرفيَّة؛ فيوصي النَّاس بأنفسهم التي هي أحبُّ الأنفس لديهم بأن يتَّبعوا سبيل الرَّشاد وينقذوها من الشقاء الدَّائم والعذاب المستمر. وفي موضعٍ آخر يُرغِّب أمير المؤمنين (عليه السَّلام) متلقيه بالاهتمام بنفسه ورعيتها بالتَّمسك بحبل الله تعالى فيقول: ((فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ! فَإِنَّكَ . وَاللهِ . مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلاَ تُعَلّمُ مِنْ جَهْل، وَإِنَّ الْطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلاَمَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ))([35]). ومن التوكيد بالتكرار المفيد للحجاج بالترغيب بالعمل الصَّالح عبر تكرار لفظ الجلالة ما ورد بقوله (عليه السَّلام): ((اللهَ اللهَ فِي الأَيْتَامِ، فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ، لاَ يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلاَةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ. وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لاَ تُخْلُوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا. وَاللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ))([36]).

وفي هذا النَّص كرَّر أمير المؤمنين (عليه السلام) لفظ الجلالة (اثنتا عشرة مرَّة) ممَّا رفع الطاقة الحجاجيَّة إلى أقصاها محاولًا إقناع متلقيه بمحتوى خطابه الإرشادي والتربوي، القاضي بالتَّمسك برعاية الأيتام والجيران والقرآن والصَّلاة وبيت الله والجهاد. وكلُّ ذلك طرق تربويَّة راعية لتكامل الإنسان وسلامة آخرته . وبالتأمُّل فيه وبقصديَّة التكرار للفظ الجلالة يجعلنا نسلِّم بالمقولة التي تقول: ((إنَّنا نتكلم عامة بقصد التأثير))(37)، وما قدَّمه أمير المؤمنين (عليه السلام) من حجاجٍ فإنَّه ((يقوم على اللغة بالأساس؛ بل يكمن فيها في بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونًا أساسيًّا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في لحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهةً حجاجية ما))(38)، فيعمل على اختيار نمطٍ دون آخر؛ لأنَّ ((بين وحدات اللغة تفاوتاً حجاجيّاً في درجة

التعبير عن فكرةٍ ما بحيث يُعتمد التعبير بالعنصر (أ) دون العنصر (ب) تطبيقاً لقانون الأنفع حجاجيّاً))(39)، وكان الأنفع حجاجيًّا بهذه الوصايا التربويَّة أن يقرنها بتكرار لفظ الجلالة؛ ليمنحها بعدًا روحيًّا وطاقةً تأثيريَّةً عالية، ومن هنا يظهر الانسجام والتناغم بين متواليات الخطاب وآليات الإقناعيَّة؛ لأنَّ ((فعاليّة الخطاب الحجاجي تأتي ((من طريقة بنائه وتفاعل عناصره، وديناميّة مكوناته))(40).

ومن الترغيب بالعمل الصَّالح ما ورد بغير تكرار لفظ الجلالة ما جاء بقوله (عليه السلام): ((الْعَمَلَ الْعَمَلَ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ، وَالاسْتَقَامَةَ الاسْتِقَامَةَ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ! إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلى نِهَايَتِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وَإِنَّ لِلاْسْلاَمِ غَايَةً فانْتَهُوا إلى غَايَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَى اللهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَبَيَّنَ لكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ))([41]). ومن الترغيب بالجهاد ما ورد بقوله (عليه السلام): ((الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللهِ، أَلاَ وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمي هذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللهِ فَلْيَخْرُجْ))([42])، وكان الجهاد في وقته (عليه السلام) مهمًّا بحسب معطيات عصره؛ ولذلك أخذ مساحةً واسعة من الحجاج ليقنع متلقيه بالانضمام إلى لوائه، وممَّا قال في الجهاد أيضًا: ((وَهِيجُوا إِلى الْجِهَادِ فَوَلِّهُوا اللِّقَاحَ أَوْلاَدَهَا، وَسَلبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وَصَفّاً صَفّاً؟! بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجَا))([43]).

ولو تأمَّلنا أكثر في التكرار في خطاب نهج البلاغة فسيظهر لدينا أغراض أُخرى تتلاءم ومعطيات القصديَّة للتكرار. ومن تلك الأغراض غرض التحذير، وهو غرض تربويٌّ عندما يحذِّر المصلح متلقيه من مهاوي الضَّلال، وممَّا ورد لأمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا الصَّدد قوله: ((أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ! الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ))([44])، وقوله (عليه السلام): ((الْحَذَرَ الْحَذَرَ؛ فَوَاللهِ لَقَدْ سَتَرَ، حتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ))([45])، وقوله (عليه السلام): ((فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ، وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِير))([46]).

وممَّا سبق تظهر قيمة التكرار بوصفه آليَّة حجاجيَّة عالية الطاقة في الاقناع على مستوى الخطاب بشكلٍ عام، والخطاب التربوي بشكلٍ خاص، ولاسيَّما لو كان التكرار مركَّزًا على ألفاظ لها وقع في النَّفس وتأثير في التَّلقي، وقد سبق أن ظهر تركيز أمير المؤمنين (عليه السلام) على ألفاظٍ لها قدسيَّة عاليَّة من أجل التأثير في الاقناع وقبول المتلقي للحجاج، فكرَّر (عليه السلام) لفظ الجلالة (الله)، وبمستوى قدسيٍّ أقل نجد ألفاظ: العمل، والورع، والاستقامة، والجهاد. وهكذا تظهر قيمة التكرار حجاجيًّا في محاولة جذب المتلقي وإقناعه بتغيير سلوكه نحو الفضل وبناء الذات على الأسس الرصينة.

ثانيًا/ التوكيد بالقسم:

ذكر سيبويه (ت: 180 هـ) القسم في قوله ((وللقسم والمقسم به أدواتٌ في حروف الجر، وأكثرها الواو، ثمَّ الباء، يدخلان على كلِّ محلوف به، ثمَّ التاء، ولا تدخل إلَّا في واحدٍ وذلك قولك: والله لأفعلن: وبالله لأفعلنّ، وتالله لأكيدنَّ أصنامكم))([47])، وأمَّا عن غرضه في الكلام فقال: ((اعلم أنَّ القسم توكيدٌ لكلامك))([48])، والتوكيد مجاله على ((ما يُقْسَم عليه من نفي أو إثباتٍ، كقولك: "وَاللَّهِ لأقومنّ"، و"وَاللَّهِ لا أقومنّ". إنّما أكّدتَ خبرك لتُزِيل الشكّ عن المخاطب))([49]). وعمل حروف القسم خفض ((المقسم به وهي صلات فعل مقدر كقولك: والله لأخرجن وبالله وتالله ولله لأنطلقن والتقدير: أقسم بالله، فالفعل مقدر وإن لم ينطق به، وإن حذفت هذه الحروف نصبت المقسم به كقولك: الله لأخرجن؛ فأمَّا الواو والباء فتدخلان على كلِّ محلوفٍ به، ولا تدخل التاء إلَّا على الله وحده، ولا اللام إلَّا عليه في حال التعجب))([50]).

فالتوكيد بالقسم أحد الأدوات الفاعلة في الحجاج؛ لما يحمل من بعدٍ إقناعيٍّ من لدن المتكلِّم باتِّجاه المتلقي بمحتوى الخطاب، ولذلك يُقسم المتكلِّم ليرفع من الطاقة الحجاجيَّة والإقناعيَّة لخطابه. وسنذكر بعض الأمثلة عن القسم الوارد في نهج البلاغة:

أ. الباء:

تعدُّ الباء أصل حروف القسم([51])، وهي ((تستعمل في القسم الاستعطافي، هو المؤكد لجملة طلبية نحو: "بالله هل قام زيد" أي: أسألك بالله مستخلفًا، وغير الاستعطافي، وهو المؤكد لجملة خبرية نحو: "بالله لتفعلن"))([52]). وممَّا ورد في خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) بالقسم بالباء قوله: ((وَأُقْسِمُ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلاَلٌ لِي، أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي، فَضَحِّ رُوَيْداً، فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغَتَ الْمَدَى، وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى، وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ الرَّجْعَةَ، (وَلاَتَ حِينَ مَنَاص) وَالسَّلاَمُ))([53]).

وهذا النَّص بعثه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أحد عمَّاله نتيجة خيانته لبيت المال، وفيه يُقسم على أنَّ المال الذي أخذه ذلك الوالي لو كان له حلالًا لما كان يُفضِّل أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن يجعله من بعده ميراثًا لورثته، وكلُّ ذلك محاججةٌ لذلك العامل، ومحاولةٌ لإقناعه بإصلاح نفسه وإعادة ذلك المال وتوبته من خطيئته، التي تصل به إلى نار جهنَّم؛ ولاسيَّما أنَّ العمر سرعان ما ينقضي وينقلب الإنسان على حسابٍ شديدٍ مآل الظالم فيه إلى حسرةٍ ولات مناصٍ منها. وعلى ما تقدَّم فأمير المؤمنين (عليه السلام) بمنهجه التربوي يحاول إصلاح ذلك العامل وهدايته إلى الصَّواب، ويستعمل لذلك أدواتًا منها القسم ليجعل من كلامه ذي تأثيرٍ في نفس المتلقي من أجل إقناعه بإصلاح نفسه. وكذلك يُبيِّن له شيئًا من مبتنياته العقيديَّة في تعامله مع ماله الحلال الخاص الذي لو توفَّر فإنَّه سينفقه في سبيل الله تعالى فكيف والمال هو مال حرام، وهذه أيضًا تقنيَّة حجاجيَّة؛ لأنَّ ((الخطيب يُقنِع بالأخلاق إذا كان كلامه يُلقى على نحوٍ يجعله خليقًا بالثقة؛ لأنَّنا نستشعر الثقة على درجة أكبر، وباستعداد أوسع، بأشخاص معتبرين في كل الأمور))(54).

وفي كتابٍ آخر لزياد بن أبيه، وهو أحد مساعدي ابن عبَّاس في ولايته على البصرة يقول فيه أمير المؤمنين (عليه السلام): ((وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً، لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئِيلَ الأَمْرِ، وَالسَّلاَمُ))([55]).

وهنا يظهر من غرض الكتاب أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يحذِّر زياد بن أبيه من خيانة بيت المال، ويرفع من سقف التحذير فيقسم بالله تعالى بأنَّه لو خان فإنَّه سيبادره بالشِّدَّة والغلظة، وهذا الأسلوب كذلك فيه حجاجٌ عالٍ؛ لكون المتكلِّم يعمل على إقناع متلقيه بعدم الخيانة لبيت مال المسلمين ويحذِره من سوء عاقبة ذلك، وهو بوجهٍ آخر يعمل على إقناع المتلقي بعدم التفكير بالخيانة لما سيواجهه من حسابٍ شديد. وقد مثَّل فعل التلفُّظ عنده القسم بوصفه المحور الأكبر في عموم الخطاب، وهو بهذا الوصف يمكن تقنينه بحسب وصف (ديكرو): بـ ((فعلٍ لغويٍّ موجَّه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة الحقوق والواجبات؛ ففعل الحجاج يفرضُ على المخاطب نمطًا معينًّا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير عليه الحوار))(56)، ولا أمر أشدُّ في توثيق الكلام من القسم بالله تعالى؛ ولذلك كان الأوفق في منح الخطاب قوَّة حجاجيَّةً مؤثِّرةً.

ب. الواو:

قال سيبويه في الواو: ((وللقسم والمقسم به أدواتٌ في حروف الجر، وأكثرها الواو))([57]). وقد وردت في نهج البلاغة بغرض التأكيد في مواطن متعدِّدة منها قول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَها فُلانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَ مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ))([58])، وواضحة من سياق الحدث الكلامي وحجاجيَّة القسم أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يرفع من وتيرة مقولاته إلى أوجِّها بماهيَّة حدثه اللغوي القاضي بكشف حقيقة لا ريب فيها، وهي أحقيَّته بالخلافة ممَّن سبقه ومن غيرهم، بلا جهلٍ أو نسيانٍ منهم وإنَّما على يقينٍ وعلمٍ وإدراك بأنَّه الأحق دون العالمين، وهكذا حمولة معرفيَّة تحتاج إلى أداةٍ حجاجيَّة إقناعيَّة، ولا يوجد أعلى من القسم إثبات حجيَّة أحقيَّته من دون غيره.

وفي نصٍّ آخر يُكرِّر حجاجه بأحقيَّته مستعينًا بالقسم فيقول: ((فَوَاللهِ مَا زِلتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي، مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ، مُنْذُ قَبَضَ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ (صلى الله عليه وآله) حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هذَا))([59]).

وهنا يحاجج المتلقي في بيان مظلوميَّته ونكران حقِّه فيقسم بالله تعالى على صحَّة ما يدَّعيه من دفعه عن حقِّه في قيادة الأمَّة بعد رسول الله (صلَّى الله عليه وآله). وهذا أيضًا يصبُّ في الجانب الإرشادي للمتلقِّي؛ لكي يعلم أيَّ سبيل ينتهج وأيَّ موالاة يتَّخذ، ولمن يركن في تصحيح مسار اعتقاده.

وفي موضعٍ آخر يقسم في أيَّام دولته على استرجاع أموال المسلمين التي انتُهبت من لدن من سبقه في حكمهم فيقول: ((وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ الإِمَاءُ، لَرَدَدْتُهُ، فَإِنَّ في العَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ العَدْلُ، فَالجَوْرُ عَلَيْهِ أَضيَقُ))([60])

وهنا أمير المؤمنين (عليه السلام) يُحاجج المتلقي ويرفع من طاقة خطابه التعبيريَّة عبر القسم بالله تعالى على أن يُرجع المال حتَّى لو صُرف في أعقد الأمور من قبيل تزويج النساء وملك الإماء، فيقدِّم للمتلقِّي إقناعًا بأنَّه سيبتغي طريق العدل وسينتهج سبيل المساواة من دون مجاملةٍ أو مداهنة؛ ليكون ذلك فاتحة المنهج التربوي الذي دعا إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) بتطبيق قواعد العدل على وفق الرؤية الإلهيَّة.

وفي موضعٍ آخر يحاجج قومه فيأمرهم بالجهاد وغزوي أعدائهم قبل أن يغزوهم فيقول: ((وَقُلْتُ لَكُمُ: اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ في عُقْرِ دَارِهِمْ إِلاَّ ذَلُّوا))([61])، وهنا قسمُ أمير المؤمنين (عليه السلام) على معادلةٍ ثابتةٍ، وهي من غُزي بعقر داره كانت عاقبته الذُّل، وهو بذلك يحاول إقناعهم بجديَّة الجهاد وأن يوطِّنوا أنفسهم عليه دفعًا للذُلِّ والمهانة؛ فضلًا عن الاستجابة لأمر الله تعالى وطاعة الإمام الحاكم بأمره سبحانه، وكلُّ ذلك ينمّي عندهم الوازع الدِّيني والتربوي في إصلاح النَّفس وتهذيبها وإبعاد الشطان عنها.

ج. التاء:

ذكر سيبويه (التاء) وقال عنها: ((لا تَجرُّ في القسم ولا في غيره إلَّا في الله، إذا قلت: تاللهِ لأَفْعَلَنَّ))([62])، وهي ((لا تدخل إلا في قولك: "تالله". لا تقول: "تالرحمن"، ولا تدخل على غيره من

الأسماء))([63]). وقد ورد القسم بالتاء في نهج البلاغة وذلك بقوله (عليه السلام) مبيّنًا منزلة نعم الله تعالى على العباد فيقول: ((وَتَاللهِ لَوِ انْمَاثَتْ قُلوبُكُمُ انْمِيَاثاً، وَسَـــالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَة إِلَيْهِ وَرَهْبَة مِنْهُ دَماً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا، مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ . وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ . أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ الْعِظَامَ، وَهُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلإِيمَانِ))([64]).

فأمير المؤمنين (عليه الســـلام) في هذا النَّص يحاجج المتلقي تربويًّا فيبيّن له حجم نعم الله تعالى عليه، وأقصـــاها هدايته للإيمان، وهذه النِّعمة لو أفنى بدنه إزائها مع عمر الدُّنيا بأكملها شـــاغلًا نفســه بالرَّغبة لله تعالى والرَّهبة منه فإنَّه لا يعادل تلك النِّعمة فقط، وعليه فعلى الإنســان أن يعتقد بأنَّه مهما فعل يبقى قليل الشــكر في إزاء ما تفضَّــل عليه الله تعالى من عظيم النعم، وهذا الأمر وثَّقه بقســمٍ حتَّى يأخذ حيّزه في ذهن المتلقي ويرفع من طاقة اســتجابته لما حمل النَّص من حدثٍ كلاميٍّ ومعرفي.

وفي موضــعٍ آخر يبيّن أمير المؤمنين (عليه الســلام) منزلته ومنزلة أهل البيت (عليهم السَّــلام) فيقول: ((تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَــالاَتِ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتَ. وَعِنْدَنَا ـــــ أَهْلَ الْبَيْتِ . أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الأَمْرِ))([65]).

حمَّل أمير المؤمنين (عليه السلام) نصَّه قضيَّةً عقديَّةً مهمَّة فحواها علمه وأهل البيت (عليه وعليهم السلام) بتبليغ الرِّسالات وتمام الكلمات، ولديهم نوافذ الحكم ومنار الأمر، وهذه القضيَّة لا يسلِّم بها الجميع ولذلك رفع أمير المؤمنين (عليه الســلام) من وقعها الدَّلالي فابتدأها بالقســم المخصــوص بالتاء الذي من الممكن أن يتساوق مع اختصاصهم دون غيرهم بتبليغ الرِّسالات وحكم الإله، وعليه فقد ارتفعت قيمة الخطاب الدَّلاليَّة بإضـــافة القســـم إليها، وكلُّ ذلك آل إلى رفع الطاقة الحجاجيَّة والإقناعيَّة بمحتوى الخطاب العقيدي والفكري.

وقبل أن نختم هذا المقام ذكر سيبويه أساليب أُخرى للقسم من قبيل: وأيم الله ولعمر الله، وقد ذكرها بقوله: ((باب ما عمل بعضه في بعض، وفيه معنى القسم وذلك قولك: لعمر الله لأفعلنَّ، وأيم الله

لأفعلن. وبعض العرب يقول: أيمن الكعبة لأفعلنَّ، كأنه قال: لعمر الله المقسم به، وكذلك أيم الله وأيمن الله، إلا أنَّ ذا أكثر في كلامهم، فحذفوه كما حذفوا غيره، وهو أكثر من أن أصفه لك))([66]).

وهذا الأسلوب استعمله أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضًا في خطابه ليأتي بذلك على جُلِّ أساليب القسم في العربيَّة، ويمكن تفسير ذلك بأنَّ الإمام (عليه السلام) كان حريصًا على تضمين خطابه أعلى الأدوات في الحجاج والإقناع، وهو القسم من دون أن يترك غرضًا فيه، من أجل إقناع المتلقي بمحتوى خطابه وضمان استجابته لمضمون كلامه. وممَّا ورد في الأساليب الآنفة الذّكر قوله (عليه السلام): ((وَايْمُ اللهِ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَة مِنْ عَيْش فَزَالَ عَنْهُمْ إِلاَّ بِذُنُوب اجْتَرَحُوهَا، لأَنَّ (اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّم لِلْعَبِيدِ)، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ، فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْق مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَه مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِد، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِد))([67]). ومن الأسلوب الآخر قوله (عليه السلام): ((مَا أَنْتُمْ إِلاَّ كَإِبِل ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِب انْتَشَرَتْ مِن آخَرَ، لَبِئْسَ . لَعَمْرُ اللهِ . سُعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ! تُكَادُونَ وَلاَ تَكِيدُونَ، وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلاَ تَمْتَعِضُونَ))([68]).

ففي النَّص الأوَّل يحاجج أمير المؤمنين (عليه السلام) متلقيه ويصرُّ على إقناعهم على عدم معصية الله تعالى، ويُحذِّرهم من التهاون في ذلك؛ لأنَّه سيكون نذير العذاب والعقاب وذهاب النِّعم، ولو نزلت النِّقمة واتَّجه النَّاس إلى ربِّهم فإنَّه سيصلح لهم أمرهم، وهنا أمير المؤمنين (عليه السلام) يُحاجج متلقيه بالقسم على مستويين: الأوَّل محذِّرًا إيَّاهم من ارتكاب الذنوب لما تؤول إليه من العذاب والنِّقمة، والآخر مرغِّبًا بمن سطِّر المعاصي بأن يرجع إلى الله تعالى ويؤوب إليه وستكون العاقبة بإصلاح شأنه، وهاتان المعادلتان يقسم عليهما أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ ليرفع من وقعهما في نفوس المتلقين ويحفِّزهم للاستجابة لمحتوى الخطاب التربوي الذي يسوقه إليهم.

وأمَّا الآخر فجانب الإصلاح فيه بيِّن فهو (عليه السلام) يحاول جاهدًا من رفع طاقة استجابتهم لمحتوى خطابه الدَّاعي إلى التَّمسك بالجهاد ولمِّ الشمل ومقاومة العدوِّ، وإلَّا فهم بئس المداد للحرب

والقتال، ولذلك يحاول جاهدًا برفع استجابتهم لمحتوى خطابه الدَّاعي إلى الردِّ على العدو الذي صار يكيدهم ويغزوا أراضيهم.

ثالثًا: التوكيد بالقصر

القصر هو: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص وجعل بعض أجزاء الكلام مخصوصاً ببعضه فلا يتجاوزه، ولا يكون انتسابه إلّا إليه (69)، ((والشيء الأول: هو المقصور، والشيء الثاني: هو المقصور عليه))([70]). ولأسلوب القصر طرفان وله طرق مختلفة يؤدَّى بها، وأقسام بالنظر إلى الحقيقة والإضافة، وبالنظر إلى حال المخاطب، وبالطرفين معًا([71]).

وما يهمُّنا من القصر هو طبيعته الحجاجيَّة وهدفه الإقناعي، ويمكن أن نتلمَّسَه في الغرض من الحصر الذي يقتضي إرادة تخصيص الحكم بالمذكور دون سواه، فيأتي المتكلِّم بالحصر بوصفه أداةً حجاجيَّة يُثبت بها ما يدَّعيه من تخصيص الأحكام، وهذا الوعي نجده في تقنين بعضهم له في قوله: ((إثبات الحكم للمذكور وصرفه عمّا عداه، نحو: ((إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ)) [التوبة/ 28] تنبيها على أنّ النجاسة التامة هي حاصلة للمختص بالشرك))([72]). وعلى أساس هذا المفهوم سنراقب القصر بوصفه أداةً حجاجيَّةً في الخطاب التربوي وأثرها في رفع الطاقة الإيحائيَّة للحجاج.

أوَّلًا: القــصر بـ(إنّما)

(إنّما) مؤلفة من (إنّ) مكسورة الهمزة، وهي المشبهة بالفعل التي تفيد توكيد مضمون الجملة و(ما) النافية التي تعمل عمل (ليس)، وعند اجتماعهما ســـتكفُّ إحداهما الأخرى عن العمل؛ لتعارض عمل (إنَّ) القاضـــي بنصـــب المبتدأ ورفع الخبر مع عمل (ما) الذي يحكم برفع المبتدأ ونصـــب الخبر، ولذلك يُلغى عمل كليهما، ويتكوَّن حرف جديد ليس له أثرٌ إعرابي على مســـتوى الشـــكل فتصبح ((بمنزلة فعل ملغى))(73). أمَّا على مستوى الدَّلالة فلها أثر فاعل في تحييد المعنى على مســـتوى معيَّن من الأداء، وقد حُدِّدت لها جملةً من الأغراض نذكر منها: إفادتها معنى القصـــر لتضمنها معنى (ما وإلّا)(74)، وزيادة توكيد الحكم في الجملة (تأكيد على تأكيد)(75).

ومن الآثار الدَّلاليَّة المهمَّة لـ (إنَّما) أنَّها ترفد الكلام بطاقة إيحائيَّة التأدُّب والتأثير في الطرح، فأمَّا الأولى فتتأتَّى من أنَّها تصل إلى الغرض من غيرِ أن تذكر الطّرف المقابل، وأمَّا التأثير فيأتي من ناحية أنَّك توحي بأنَّ ترك التّصـريح بما يخالف ما أثبته هو من الوضـوح بمكان، كما أنَّ الاكتفاء بالمثبت يوحي أحيانًا بأنَّه لا يليق أن يوازن بين ما أُثبت وما نُفي(76)، وكذلك هي تفيد الترقيق في الكلام فيما لو كان الخبر ممَّا يعلمه المخاطب، ولذلك لا تقول لوالدٍ تريد أن ترقّقه على أولاده: ما أنت إلّا والد، وإنَّما الصـــحيح: إنّما أنت والد(77). وهذه الآثار لها من الوقع التربوي في نفس المتلقي؛ لما تؤول إليه من سـماتٍ إقناعيَّة تفسـح المجال للمتلقي بالاختيار من دون إكراه أو شـدَّةٍ في قبول محتوى الخطاب الموجَّه.

وممَّا ورد في الاتِّجاه التربوي حاويًا للحصر بـــ (إنَّما) ما ورد بقول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((إنّما هِيَ نَفْسِـــي أَرُوضُـــهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ))([78])، فأمير المؤمنين (عليه السـلام) يوجّه خطابه لواليه عثمان بن حنيف (رضـوان الله عليه)، فيصـرّح له عن رياضـته لنفسـه ويُعلّل ذلك بضـــمان الأمان في يوم الخوف الأكبر، وهنا يبرز أســـلوب التأدُّب في الحجاج، لأنَّ الطَّرف المقابل للكلام يتضمَّن أن يقتدي الوالي بمرؤوسه في رياضـة نفسه وعدم الانجرار وراء آفة الدُّنيا وزبرجها الخدَّاع، وهكذا أسـلوب يجعل من المتلقي أكثر اسـتجابة لمحتوى الخطاب؛ لما فيه من ترقيقٍ وتأدُّبٍ في الطَّرح، وقد تأتَّى ذلك من كون المتكلِّم لم يُصـرِّح وإنَّما أشـار بالرمز والكناية، وهذا أبلغ من التصـيح بالمباشـر. قال الجرجاني: ((وكما أنَّ الصـفةَ إذا لم تأتكَ مُصـرَّحاً بذكرها، مكشـــوفاً عن وجهها، ولكنْ مدلولاً بغيرها، كان ذلك أفخمَ لشـــأنها، وألطفَ لمكانِها، كذلك إثباتُك الصـفةَ للشـيءِ تثبِتُها له، إذا لم تُلقِه إلى السـامع صـريحاً، وجئتَ إليه من جانبِ التعريضِ والكنايةِ والرمزِ والإشـــارة، كان له من الفضـــلَ والمزية، ومن الحُسْـــنِ والرونَقِ، ما لا يقلُّ قليلُه، ولا يُجْهلُ موضـعُ الفضـيلة فيه))(79). وهذا الأسلوب يسمَّى التعريض، وهو ((معنًى يُفهمُ من غَرض الكلامِ وجانبِهِ، ويُستَشفُ من أطراف المعاني المباشرة بمعرفةِ السّياق وقرائن أحواله))(80).

من خواصّ (إنَّما) الأخرى أنَّها ((تجيء لخبر لا يجهله المخاطبُ ولا يدفعُ صـــحته، أو لما يُنَزّل هذه المنزلة، تفسـير ذلك أَنكَ تقولُ للرجل: (إنَّما هو أخوك) و(إنما هو صـاحبك القديم)، لا تقولُه لِمَنْ يَجْهلُ ذلك ويدفَعُ صـــحَّتَه؛ ولكنْ لِمَن يَعْلَمُه ويُقِرُّ بهِ. إلَّا أنَّك تُريد أن تُنَبِّهَهُ للذي يجب عليه من حقّ الأخ وحُرْمةِ الصاحبِ))(81).

وهذا الأمر نجده كثيرًا في نهج البلاغة وخصوصًا مع الجوانب التربويَّة؛ لأنَّها معلومة لدى النَّاس، ولا يجهلها في الغالب أحدٌ منهم؛ ولكن يبقى التنبيه إليها والدَّعوة إلى ســـلوكها والحجاج بأهميَّتها والإقناع بنجاعتها. ومن ذلك قوله (عليه الســـلام): ((فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لأَيَّامِ الْبَقَاءِ. قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَأُمِرْتُمْ بَالظَّعْنِ، وَحُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسِـيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْب وُقُوف، لاَ يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بَالسَّيْرِ))([82]).

وهنا دخلت (إنَّما) على شـــيءٍ معلوم، والمتلقون يقرُّون به؛ وإنَّما الأمر تنبيههم إلى خطورته وإرشادهم فيما لو كانوا غافلين عنه، وساهين عن أهميَّته، فكانت (إنَّما) هنا أداةً حجاجيَّةً فاعلة في إثارة المتلقي نحو محتوى الخطاب القاضـي بالتنبيه إلى سرعة التزوُّد من الخير في الدُّنيا، ثمَّ جاء التشبيه بالركب الواقف المنتظر لأمر السير، وهكذا حال يستدعي التحضير للسفر لأنَّه سيكون على وشـك الانطلاق، ولا مجال للتماهي فيما يصـلح السـفر من الزَّاد، وهو أهمُّ شـيء فيه؛ لأنَّه اللازم لعدم الهلاك، وبهذا الأسـلوب ترتفع قيمة الخطاب الإيحائيَّة وكذلك ترتفع الاستجابة لمحتواه الفكري، وهذا ما يبتغيه الحجاج.

ومن هذا القبيل أيضًا قوله (عليه السلام): ((فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى))([83]).

وهنا المتلقي يعي جيّدًا أنَّه والمتلقي عبيد لله تعالى؛ ولكنَّ الكلام جاء على سـبيل التنبيه والإشـارة إلى حقوق ذلك الرَّب التي قد يغفل عنها كثيرٌ من النَّاس، ولذلك يســـعى المتكلِّم إلى التذكير بها

والدَّعوة إلى الالتزام بمحتواها على سبيل الحجاج في المستوى الضِّمني؛ لأنَّ جميع متلقيه لا ينكرون مضمون خطابه؛ لانطلاقته من قاعدة متوافق عليها بين جميع من يعتقد بربوبيَّة الله تعالى التي تستدعي عبوديَّة الخلق له، ولهذا فهو ضامنٌ لاستجابة المتلقي لفحوى خطابه واقتناعه بمجريات كلامه.

وفي أحيانٍ أُخرى تأتي (إنَّما) لتأكيد المؤكَّد كما أسلفنا، وهي بهذا الغرض ترفع من طاقة الخطاب وتمدُّه بطاقةٍ حجاجيَّةٍ تعمل على زيادة الإقناع بمحتوى الخطاب، ومن هذا القبيل نجد قول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلاَبٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضاً، يَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا))([84]).

وهنا يرفع أمير المؤمنين (عليه السلام) من طاقة محتوى خطابه عبر التأكيد المضاعف الوارد بـ (إنَّما)، ويأتي بخبر يصف به أهل الدُّنيا فيحذِّر المخاطب من أن يكون منهم؛ لأنَّهم كلابٌ عاوية وسباع ضارية يأكل القويُّ الضعيف، ويقهر الكبير الصغير، وهكذا وصف لأهل الدُّنيا وإن كان معلومًا من لدى المخاطب بالمجمل العام إلَّا أنَّ هذه التفصيلات ممَّا تحتاج إلى شدَّةٍ بالتأكيد لتأخذ حيِّزها من التلقي لدى المخاطب، وترفع من استجابته لغرض الخطاب ومحتواه.

ومثل ذلك قوله (عليه السلام): ((أَمَّا بَعْدُ، فإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ: لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سُمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا، لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا، أَحْذَرَ مَا تَكُونَ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُور أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُور، أَوْ إِلَى إِينَاس أَزَالَهُ عَنْهُ إِيحَاشٌ))([85]). وفي هذا النَّص يظهر لنا (السُّلم الحجاجي) الذي اقترحه ديكرو، وقد عرَّفه: بأنَّه كلُّ علاقةٍ ترتيبيةٍ للحججٍ معنيَّة تدفع باتِّجاه نتائج محددة(86)، وقيل فيه أيضًا: ((إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها))(87). ويمكن لنا تحسُّس السُّلم الحجاجي في النَّص المتقدِّم في عدَّة قضايا:

الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ ⟵ لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سُمُّهَا

فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا ⟵ لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا

وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا ⟵ لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا

وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا ⟵ أَحْذَرَ مَا تَكُونَ مِنْهَا

فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُور ⟵ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَىَ مَحْذُور

أَوْ إِلَى إِينَاس ⟵ أَزَالَهُ عَنْهُ إِيحَاشٌ.

وهذه التقابلات ما بين القضايا وعللها أو بين الأشياء ونواقضها أفضت إلى تكوين سلمٍ حجاجيٍّ بـ ((مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية))(88)، أو ((تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب))(89). وهذا النوع من الربط بين القضايا بوسيلة التعليل يُعدُّ من أشدِّ الممارسات الحجاجيَّة؛ لأنَّ ((التعليل هو الوظيفة الأساسية للحجج، وما عداه من استعمالات ووظائف ثانوية))(90).

وخلاصة القول في (إنَّما) هي أداة ((تستعمل في حكم لا يعوزك تحقيقهُ؛ إمّا لأنَّه في نفس الأمر جلي أو لأنَّك تدَّعيه جليًّا))(91)، وهي بوظيفتها هذه تتناسق مع ما ذكرناه في السابق من تعريفٍ للحجاج بأنَّه: ((درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم))(92). وفي كلا الأمرين ينبثق حجاج؛ لأنَّك في الأوَّل تنطلق من قضية لا خلاف فيها فتضمن استجابة المتلقي مبدئيًّا ثمَّ تحمِّل ذلك تنبيهًا أو استعطافًا أو إرشادًا، وستكون النتيجة تأثُّر المتلقي واستجابته لمحتوى الخطاب؛ وذلك لخطِّ التوافق الذي انطلق منه المتكلِّم في تصدير غرضه عبر هذه الأداة، ومن هنا قيل في استعمالها: ((وطريقُ (إنّما) يَسلك مع مخاطبٍ في مقام لا يصرُّ على خطئهِ أو يَجبُ عليهِ أنْ لا يُصر على خطئه، لا تقول: إنّما زيد يجيءُ، أو: إنّما يجيء زيد، إلّا والسامع متلقٍ كلامَك بالقبول، وكذا لا تقول:(إنّما الله إله واحد) [النساء 171]، إلّا ويجب على السامع أنْ يتلقاه بالقبول))(93)،

ومن هنا أصـــبحت هذه الأداة محورًا للتكثيف الدَّلالي و((تحقّق مبدأ الاقتصـــاد اللغوي؛ لأنَّها نمط تعبيري يتسم بالإيحاء وثراء الدلالة والتعبير عن المضمون بأقصر عبارة وأقل مفردات))([94]).

ثانيًا: القصر بـ (النفي وإلاَّ)

من قنوات القصر الفاعلة في التوكيد ما كان ناتجًا من اجتماع (النفي وإلَّا)، وفيه يقول سيبويه: ((فَأمَّا الوجه الذي يكون فيه الاسم بمنزلته قبل أن تلحق (إلاَّ) فهو أن تدخل الاسم في شيءٍ تنفي عنه ما سواه، وذلك قوله: ما أتاني إلاَّ زيداً، وما لقيت إلاَّ زيداً، وما مررت إلاَّ بزيدٍ تجري الاسم مجراه، إذا قلت ما أتاني زيدٌ، وما لقيت زيداً وما مررت بزيد؛ ولكنَّك أدخلت (إلاَّ) لتوجب الأفعال لهذه الأفعال ولتنفي ما سواها))([95])، أمَّا عن غرض هذا التركيب فهو إحراز عموم النفي للحكم وتثبيته بفئةٍ معيَّنةٍ، وإلى هذا أشار المبرد (ت: 286 هـ) بقوله: ((وإنَّما احتجت إلى النفي والاستثناء لأنَّك إذا قلت: جاءني زيد فقد يجوز أن يكون معه غيره، فإذا قلت: ما جاءني إلَّا زيد نفيت المجيء كله إلاَّ مجيئه))([96]).

وأمَّا السياق الذي يوجَّه فيه هذا التركيب فهو عندما يكون ((لأمر ينكره المخاطب ويشكُّ فيه))([97]). ومن هنا بحسب ما نرى تنبثق وظيفة الحجاج؛ لأنَّ غايته إقناع المخاطب بمحتوى الخطاب والتأثير فيه بما ينسجم مع الحمولة المعرفيَّة التي يصدِّرها المتكلِّم عبر خطابه. وقد وردت هذه الآليَّة الحجاجيَّة في الخطاب التربوي لأمير المؤمنين (عليه السلام) كثيرًا، وكان فيها إمَّا ناهيًا عن إساءةٍ أو مرشدًا إلى خيرٍ أو مبيّنًا لحقيقةٍ أو غير ذلك. وسنعرض بعض الأمثلة في هذا الصَّدد، ومنها قوله (عليه السلام): ((فَاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ، وَلاَ يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلاَّ رَبَّهُ، وَلاَ يَلُمْ لاَئِمٌ إِلاَّ نَفْسَهُ))([98]).

في هذا النَّص يدعو أمير المؤمنين (عليه السَّلام) متلقيه إلى الالتزام بحدود الله تعالى، وإصلاح شأن بعضهم بعضًا، وأن يكون حمد النِّعمة بالأصل إلى الله تعالى وحده؛ لأنَّه هو المنعم الحقيقي وهو صاحب الفيض الأوَّل، وقد أعطى التوبة لمن أراد أن ينيب، وأمَّا اللوم بسبب المعاصي فلا

يلوم الإنسان إلَّا نفسه؛ لأنَّها هي من اختارت هذا السبيل. ونرى أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) استعمل لحصر الحمد بالنفي بـ (لا) ثمَّ الاستثناء بالأداة (إلَّا) لينتج لنا حصر محدَّد باستحقاق الحمد بالله تعالى، وكذا بالنَّسبة للوم الذي يتحدَّد بالنَّفس فقط، إلى هاتين الحقيقتين يحاول أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يُلفت جمهوره إليهما وينبِّههم إلى تأثيرهما وأثرهما في حياتهم.

وأمَّا لو اتَّجهنا إلى أداة نفيٍ أخرى فسنجد (ما) حاضرةً في نصوصٍ كثيرة ومنها قوله (عليه السلام): ((وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: شَكّاً في أَهْلِ الشَّامِ! فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إلاَّ وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوَ إلى ضَوْئِي، فهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا))([99]).

وهنا يظهر شـــكُّ المتلقي بظاهرةٍ معيَّنةٍ وهي تأخُّر أمير المؤمنين (عليه الســـلام) في حربه لأهل الشـام على الرغم من اصـطفاف الجند وتقابل الفريقين، ولذلك يحاججهم من أجل رفع ذلك الشـك فيأتي بتوكيد ناتجٍ من نفيٍ بـــــ (ما) وتثبيت باستثناء عبر الأداة (إلَّا)، وعليه نفلى أمير المؤمنين (عليه السَّلام) كلَّ نواحي الشكِّ بإمكانيَّة أن يكون أهل الشام بموقفهم على حقٍّ مطلقًا، وثبَّت حقيقة إرادته بمحاولة هدايتهم؛ لأنَّه الأحبُّ إليه من قتلهم على ضـــلالتهم، وهذا حال من يعمل لله تعالى، ويصـدر في كلِّ تصـرفاته عن أمر الله (عزَّ وجلَّ) من دون أن تكون هناك نوازعٌ انتقاميَّة أو أحقادٌ ســـابقة، وهذا ما أراد أمير المؤمنين (عليه السَّـــلام) أن يقنع جمهوره به فحاججهم بالتوكيد؛ لتثبيته في أذهانهم وضـمان استجابتهم لمضـمون خطابه عبر أسـلوب القصـر الذي هو ((ليس إلَّا تأكيدًا للحكم على تأكيد))([100]). وقد عمد المتكلِّم إلى تقديم مقدِّمةٍ تضـــمَّنت مقولة بعض الأشـــخاص: (شَكّاً في أَهْلِ الشَّامِ)، وهذه القضـية ردَّ عليها أميرالمؤمنين (عليه السـلام) بحجَّةٍ في أعلى درجات القوَّة مؤيَّدةً بالقسم فقال: (فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً)، وهذا القول يستلزم التسليم بقولٍ آخر وهو: (إلاَّ وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُـوَ إلى ضَـوْئِي، فهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَـلالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا)، ولا يمكن تصـوُّر عدم الشـجاعة من أمير المؤمنين (عليه السَّـلام)؛ لعلم المتلقي بانتفاء ذلك، وعليه صـار المدار في نسبة الشكِّ بحكم القتال؛ ولذلك استلزم

أن يكون الأمر بإتمام الحجَّة ومحاولة الهداية للقوم، ومن هنا قيل في تفسير الحجاج: ((تقديم المتكلم قولًا (ق1) أو مجموعة أقوال، يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2) أو مجموعة أقوال أخرى، على أنَّ هذا القول الأول يمثل حجة ينبغي أن تؤدي إلى ظهور قول (ق2)، ويكون هذا الأخير قولا صريحًا أو ضمنيًّا . ومن ثمة يعد الحجاج إنجازاً لعملين هما: عمل التصريح بالحجة من ناحية، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى . سواء كانت النتيجة مصرَّحًا بها أو ضمنية))(101).

وبهذا التركيب أيضًا نجد قول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَار فَاسْتَبْدَلُوا؛ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلاَّ الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ))([102]).

فأمير المؤمنين (عليه السَّلام) يرشد متلقيه إلى الحذر من الانغماس بالدُّنيا وملذاتها والعمل للآخرة التي لا يفرّق بين نعيمها وجحيمها سوى الموت، والنَّاس في غفلةٍ من ذلك فأراد أن يُنبّههم ويُقنعهم بأهميَّة استدراك حالهم ومتابعة شأنهم والعمل على أن يكونوا في صفِّ النعيم، وقد رفع من أهميَّة محتوى خطابه بالتوكيد ليأخذ دوره الحجاجي في إقناع المتلقي إلى هذا الأمر التربوي الهام.

وبالمحتوى التربويّ نفسه يورد أمير المؤمنين (عليه السلام) ما تقدَّم آنفًا؛ ولكن بالقصر على مستوى الفني بـ (لم) و(إلَّا) وذلك بقوله: ((أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْاِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا، أَلاَ وَإِنَّ الاْخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الاْخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَد سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))([103]). وما هذا التكرار للمحتوى نفسه إلَّا لأهميَّته بالنسبة للمتلقي، وذلك أنَّ الدُّنيا ما هي إلَّا مرحلة قصيرة تؤول إلى نعيم دائم أو جحيم مستمر، ومن هنا يحاول المتكلِّم بثَّ خطابه بأشكال لغويَّةٍ متنوِّعة من أجل إحراز استجابة المتلقي إلى محتواه الفكري والعقيدي، آملًا بأن يأخذ حجاجه في متلقيه أعلى درجات الاستجابة باقتناعهم إلى أهميَّة العمل للآخرة . وهكذا خطاب يُطلق عليه بالخطاب التثبيتي وغايته: ((الإقناع في مدح شيء بفضيلة، أو ذمِّه بنقيضه))(104)، وهنا أمير المؤمنين (عليه السَّلام) مدح الآخرة وذمَّ الدُّنيا، ثمَّ بيَّن أنَّ لكلٍّ منهما أبناء والإنسان حرٌّ باختيار الأمِّ منهما.

وفي تركيبٍ آخر للنفي والاستثناء ما تولَّد عن أداة النفي (ليس) و(إلَّا) وقد ورد في خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) كثيرًا ومنه قوله: ((إِنَّهُ لَيسَ عَلَى الإِمَامِ إِلاَّ مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الإِبْلاَغُ فَي الْمَوْعِظَةِ، وَالاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا))([105]).

وهنا يعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) على بيان حقيقةٍ يشكُّ بها كثير من النَّاس، ألا وهي واجبات الإمام اتِّجاه رعيته فيؤكِّد لهم بالتوكيد الرافع لأقصى درجات التأثير ويبيِّن بالنَّفي المطلق لأيِّ واجبٍ على الإمام إلَّا ما حمَّله الله تعالى، ثمَّ يُفصح عن تلك الواجبات ويحدِّدها بأربعة: (الإِبْلاَغُ فَي الْمَوْعِظَةِ، وَالاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا)، ومن هنا فأمير المؤمنين (عليه السَّلام يكشف لمتلقيه أهميَّة طاعة الإمام؛ لكونها متعلِّقة بطاعة الله تعالى. وقد جاء كلامه بأسلوبٍ محاجج عبر استدعاء التوكيد الناتج عن النفي والحصر.

ويمكن أن نمثِّل الحجاج السابق بهذا المخطَّط:

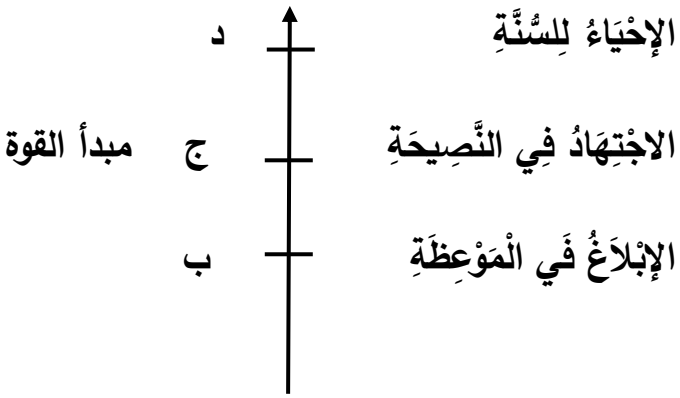

وفي نصٍّ آخر وبالأسلوب نفسه يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلاَّ أَرْبَعُ أَصَابِعَ. فسئل (عليه السلام) عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثمّ قال: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ))([106]).

وهنا يوجِّه أمير المؤمنين (عليه السَّلام) متلقيه إلى أمرٍ تربويٍّ فائق الأهميَّة، وهو الانتباه للفرق بين الحقِّ والباطل في نقل الحوادث، ولم يبيِّنه على سبيل الكلام المباشر وإنَّما أعطاه بعدًا من التفكير

والتأمُّل؛ ليأخذ مساحته الإبلاغيَّة والتأثيريَّة في متلقيه، فجعل الفرق بادئ ذي بدئ أربعة أصابع، وكانت النتيجة استفهام عن هذا المحتوى الدَّلالي بعد أن حاول المتلقِّي الفهم وسدَّ الفجوة في التفكير، ليأتيه الجواب بعد سؤاله، وهكذا أسلوب يمنح الخطاب بعدًا حجاجيًّا يرفع من طاقة التأثير في المتلقي عبر بعثه على التأمُّل في محتوى الخطاب ومحاولة سبر علله ومضامينه، و((طلب العلة يكون على وجهين: إمّا أن تطلبها، وأنت لا تعلمها؛ لتعلمها، وإمّا أن تطلبها، وأنت تعلمها، ليُقّرَّ لك بها))(107)، وهكذا ترتفع احتمالية الانسجام وتغيير السلوك بحسب المحتوى الفكري للخطاب.

وممَّا سبق يظهر لنا أنَّ هناك تدرُّجًا في القوَّة التأثيريَّة للحجَّة اللغوية؛ لكونها ((ليست متكافئة ولا متماثلة، وتخالف في هذا البراهين المنطقية والرياضية، فالحجة اللغوية لها قوة معينة، وتحتل مرتبة ما من المراتب الحجاجية، فهناك الحجج القوية، والحجج الأقوى، وهناك الحجج الضعيفة والحجج الأضعف))(108)، وقد ظهر لنا عبر دراستنا للتوكيد في الخطاب التربوي ابتغاء أمير المؤمنين (عليه السَّلام) للحجج الأقوى تأثيرًا في محاولة إقناع جمهوره بمحتوى خطابه التربوي الهادف إلى إصلاحهم وتزكية نفوسهم وبناء تكاملهم عبر الإرشاد والنَّصيحة والدَّعوة إلى الله تعالى.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة الممتعة في تفانين نهج البلاغة بعبقه التربوي والأخلاقي يمكننا الإشارة إلى أهمِّ النتائج التي توصَّلت إليها الدِّراسة:

1. كان للتوكيد حضور واسع في خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) الوارد في نهج البلاغة.
2. سعة استعمال التوكيد يمكن إرجاعها إلى الوظيفة الإصلاحية التي كان أمير المؤمنين (عليه السلام) بصددها، وهي تستدعي تضمين الخطاب بكلِّ ما يمكن من زيادة تأثيره وتوثيقه في ذهن المخاطب، والتوكيد من الاليات الفاعلة في ذلك.
3. من الأساليب التوكيديَّة الرائجة في خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) تكرار لفظ الجلالة (الله)، وخصوصًا في الخطاب التربوي، وقد رصد البحث جملةً منها، وأمَّا تفسير ذلك فيمكن

إرجاعه إلى ما تحمل هذه اللفظة من بعدٍ قدسيٍّ وروحيٍّ لدى المتلقي فتبعث فيه دافعيَّة الانجذاب للخطاب والاستجابة لمحتواه.

4. كان التوكيد من الأدوات الفاعلة في الحجاج لما يمنح النَّص من طاقةٍ تعبيريَّةٍ فاعلةٍ تبعث على رفع الشكِّ واللبس عن محتوى الخطاب، ولما يمنحه من مسارٍ حجاجيٍّ ينتهي بتسليم المتلقي أو يدفعه إلى ذلك التسليم.

5. وجدنا أساليب كثيرة للتوكيد في نهج البلاغة إلَّا أنَّنا اخترنا منها ثلاثة: التكرار والقسم والقصر؛ لما لها من فاعليةٍ في رفد الخطاب بطاقات إيحائيَّةٍ وتعبيريَّة.

الهوامش:

(1) معجم مقاييس اللغة: 29/2 – 31 (مادَّة: حجَّ).
(2) لسان العرب: 228/2. (مادَّة: حجَّ).
(3) اللسانيات والحجاج: 3: 270
(4) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية: 1: 446.
(5) الحجاج في المقام المدرسي وحدة البحث في تحليل الخطاب: 13 .
(6) كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله نموذجاً): 13.
(7) ينظر: تحليل الخطاب الروائي: 19.
(8) حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (رضي الله عنه): 94.
(9) ينظر: آليات الإقناع في الخطاب القرآني - سورة الشعراء نموذجًا دراسة حجاجيَّة، (رسالة ماجستير)، 1322هـ : 157.
(10) الاقناع في الخطاب التربوي – مقاربة حجاجية تواصلية، محمد البوزيدي، منشور على شبكة www.alukah.net:.
(11) الحجاج أُطُرهُ ومنطلقاته وتقنياته من خلال (منصف في الحجاج – الخطابة الجديدة) لبرلمان وتيتيكاه: 298.
(12) م . ن: 299.
(13) الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر: 109.
(14) الحجاج أُطُرهُ ومنطلقاته وتقنياته من خلال (منصف في الحجاج – الخطابة الجديدة) لبرلمان وتيتيكاه: 298.
(15) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية: 27 .
(16) ينظر: المصدر نفسه: 8 .
(17) ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة: 139.
(18) ينظر: اللغة والحجاج: 26.
(19) ينظر: الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو: 227.
(20) البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني: 37.
(21) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: 318.
(22) اللغة والحجاج: 77.

[23] الحجاج عند أرسطو: 79.

[24] كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله نموذجاً): 2-3.

[25] الخطابة: 29.

[26] المصدر نفسه: 79.

([27]) اللمع في العربية: 169 .

([28]) اللباب في علل البناء والإعراب: 394/1 .

([29]) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: 176/2 .

([30]) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: 375 .

([31]) خزانة الأدب وغاية الأرب: 361/1 .

([32]) نهج البلاغة: 480 – 481 .

([33]) م . ن: 117 .

([34]) م . ن: 221 .

([35]) م . ن: 234 .

([36]) م . ن: 421 – 422 .

(37) التَّحاجج - طبيعته ومجالاته ووظائفه: 55.

(38) الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجري بنيته وأساليبه: 22.

(39) البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة أو الحجاج (بحث): 33.

(40) عندما نتواصل نغير - مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: 129.

([41]) نهج البلاغة: 252 .

([42]) م . ن: 264 .

([43]) م . ن: 177 .

([44]) م . ن: 290 .

([45]) م . ن: 472 .

([46]) م . ن: 214 .

([47]) الكتاب: 496/3.

([48]) م . ن: 104/3 .

([49]) شرح المفصل للزمخشري: 244/5 ، ينظر: معاني النحو: 158/4 .

([50]) اللامات: 83 .

([51]) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 143 .

([52]) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: 648/1 .

([53]) نهج البلاغة: 414 .

(54) الخطابة: 29 -30 .

([55]) نهج البلاغة: 377 .

(56) الحجاج، مفهومه ومجالاته: 1/ 57.

([57]) الكتاب: 496/3 . ينظر: سر صناعة الإعراب: 289/2 .

([58]) نهج البلاغة: 48 .

([59]) نهج البلاغة: 53 .

([60]) م . ن: 57 .

([61]) م . ن: 69 .

([62]) الكتاب: 59/1 .

([63]) شرح كتاب سيبويه: 327/1 .
([64]) نهج البلاغة: 90 .
([65]) م . ن: 176 .
([66]) الكتاب: 502/3 – 503 .
([67]) نهج البلاغة: 257 .
([68]) م . ن: 78 .
(69) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي: 166/2 .
([70]) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: 165 .
([71]) علم المعاني: 146 .
([72]) المفردات في غريب القرآن: 92 ، ينظر: الإتقان في علوم القرآن: 166/3 .
(73) الكتاب: 130/3.
(74) ينظر: دلائل الإعجاز: 328 - 329 .
(75) مفتاح العلوم: 403.
(76) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن: 274 .
(77) دلائل الإعجاز: 332.
([78]) نهج البلاغة: 417 .
(79) دلائل الإعجاز: 306.
(80) علم المعاني - دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: 279.
(81) دلائل الإعجاز: 330.
([82]) نهج البلاغة: 222 .
([83]) م . ن: 335 .
([84]) نهج البلاغة: 400 .
([85]) م . ن: 458 .
(86) ينظر: حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي [عليه السلام]: 140.
(87) اللغة والحجاج: 16.
(88) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: 277.
(89) اللغة والحجاج: 16.
(90) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: 61.
(91) مفتاح العلوم: 407.
(92) كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج: 84 .
(93) م . ن: 407.
([94]) الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني - دراسة دلالية: 286.
([95]) الكتاب: 2/ 310.
([96]) المقتضب: 4/ 595.
([97]) دلائل الإعجاز: 329.
([98]) نهج البلاغة: 58 .
([99]) نهج البلاغة: 91 .
([100]) مفتاح العلوم: 403.
(101) البعد الحجاجي في مرزبان نامه لابن عربشاه: 291 – 292 .
([102]) نهج البلاغة: 95 .
([103]) م . ن: 84 .

(104) الشفاء: 4: 55.
([105]) نهج البلاغة: 152 .
([106]) م . ن: 198 .
(107) نقد النثر: قدامة بن جعفر: 120.
(108) اللغة والحجاج: 88.

المصادر والمراجع:

الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م.

البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني: د. قدور عمران، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ط1، 2012م

التَّحاجج – طبيعته ومجالاته ووظائفه: تنسيق حمّو النَّقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية، ط1، 1427هـ –2006م.

تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت: 654هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

تحليل الخطاب الروائي: سعيد يقطين، ط4، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، 2005م.

الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني – دراسة دلالية، د . دلخوش جار الله حسين، دار دجلة، عمان ـ الأردن ط 1، 2008 م.

جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، (د ت).

الحجاج أُطُرهُ ومنطلقاته وتقنياته من خلال (منصف في الحجاج – الخطابة الجديدة) لبرلمان وتيتيكاه، د.عبد الله صولة، (بحث) ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمّود، منشورات كلية الآداب – منّوبة، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس (د–ت).

الحجاج في البلاغة المعاصرة – بحث في بلاغة النقد المعاصر: د. محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت–لبنان، 2008م.

الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجري بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب، الحديثة، الأردن، ط1، 2008 م.

الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد–الأردن، ط2، 1432هـ–2001م.

الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط، 2007م.

الحجاج في المقام المدرسي وحدة البحث في تحليل الخطاب، كورنيليا فون راد صكوجي، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 2003م.

الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة: أمينة الدهري، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 1432هـ–2011م

الحجاج، مفهومه ومجالاته: إعداد وتقديم: د. حافظ إسماعيل علوي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، 1431هـ–2010م.

حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (رضي الله عنه): د. كمال الزماني، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، 2012م.

خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت: 837هـ)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار–بيروت، الطبعة الأخيرة 2004م.

الخطابة، أرسطو: ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986م.

دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني (ت: 471هـ)، تحقيق: أبو فهر، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة– مصر، ط3، 1413هـ –1992م.

سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، 1421هـ– 2000م.

شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري (ت: 905هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، ط1، 1421هـ– 2000م.

شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش أبو البقاء، (ت: 643هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1422 هـ – 2001 م.

شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت: 368 هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2008 م.

الشفاء: ابن سينا، تحقيق: فؤاد الإهواني، منشورات مكتبة الله العظمى المرعشي النجفي، قم، (د ط)، 1404هـ .

الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت: 745هـ)، المكتبة العنصرية – بيروت، ط1، 1423 هـ.

علم المعاني – دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني؛ د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط2، 1429هـ – 2008م.

علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ت: 1396 هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1430 هـ – 2009 م.

عندما نتواصل نغير – مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، د. عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق؛ الدار البيضاء–المغرب، (د–ط)، 2006م.

الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 هـ – 1988 م.

كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله نموذجاً): د. علي محمد علي سلمان، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت– لبنان، 2010م.

اللامات، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: 337هـ)، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر – دمشق، ط2، 1405هـ 1985م.

اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري البغدادي محب الدين (ت: 616هـ)، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر – دمشق، ط1، 1416هـ 1995م.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)، دار صادر – بيروت، ط3، 1414 هـ.

اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1998م.

اللسانيات والحجاج، الحجاج المغالطي: نحو مقاربة لسانية وظيفية، حافظ اسماعيل (بحث) ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة.

اللغة والحجاج: د. أبو بكر العزاوي، دار الأحمدية للطباعة، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 1426هـ–2006م.

اللمع في العربية، ابن جنِّي (ت: 392 هـ)، تحقق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت.

معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، ط1، 1420 هـ – 2000 م.

المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، مصر، ط2، 1977م.

المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية: جميل صليبا، (د–ط)، الشركة العلمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، بيروت، 1994م.

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: 761هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط6، 1985هـ.

مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السّكاكي (ت626هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2، 2011م.

المفردات في غريب القرآن، تحقيق: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ.

المقتضب، تأليف أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت: 285هـ)، تحقيق: حسن حمد، مراجعة: د. إميل يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان 1999م.

مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، ضمن كتاب: شروح التلخيص: وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: د. محمد طروس، دار الثقافة – الدار البيضاء، ط1، 1426هـ–2005م

نهج البلاغة – مختار من كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، جمعه الشريف الرضي، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي صالح، ط1، 1387 - 1967 م.

الرسائل والأطاريح:

آليات الإقناع في الخطاب القرآني – سورة الشعراء نموذجًا دراسة حجاجيَّة، (رسالة ماجستير)، هشام بلخير، إشراف: محمد بوعمامة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012م 1322هـ.

المجلات والدوريات:

البعد الحجاجي في مرزبان نامه لابن عربشاه، محسن بن عامر، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع 11 – 12 جانفي وجوان، 2012 م.

الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، د. الراضي رشيد، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 1، المجلد: 34، لسنة 2005م.

المواقع الإلكترونيَّة:

الاقناع في الخطاب التربوي – مقاربة حجاجية تواصلية، محمد البوزيدي، منشور على شبكة www.alukah.net:.